المنتقى من كتاب " الكلام على مسألة السماع "
للعلامة ابن القيم

جمع
فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ

حقوق الطبع والنشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...أما بعد: فمن كتب العلامة ابن القيم رحمه الله النافعة كتابه الموسوم بـ " الكلام على مسأله السماع " عالج فيه موضوع السماع والغناء، وأجاب فيه عن جميع شبه من يجعلون من الغناء والسماع قربه إلى الله، وفي ثنايا الكتاب فوائد منثورة في مواضيع مختلفة، انتقيت منها ما يسّر الله الكريم منها، وجعلتها في فصول، أسأل الله أن ينفع بها، ويبارك فيها.

فصل: الغناء والسماع

أدلة تحريم الغناء:

قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليُضل عن سبيل الله بغير علمٍ ويتخذها هزواً أُولئك لهم عذاب مهين * وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم ﴾ [لقمان:٦-٧]

فسر غير واحد من السلف لهو الحديث بأنه الغناء،...فقال أبو الصهباء: سألت عبدالله بن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء والاستماع إليه.

وقال إبراهيم النخعي والحسن البصري في هذه الآية: إنه الغناء.

وقال عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون ﴾ [النجم:٥٩-٦١] إنَّ السمود هو الغناء، يقال: سمد فلان إذا غنى، وقد فُسر السمود باللهو، وفسر بالإعراض، وفسر بالغفلة، وفسر بالأشر والبطر، ولا ينافى تفسيره بالغناء، فإن الغناء ثمرة ذلك كله، فإن الحامل عليه اللهو والغفلة والإعراض والأشر والبطر، وذلك كله مناف للعبودية.

قال تعالى: ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾[الإسراء:٦٤]قال مجاهد: هو الغناء والمزامير،وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم: (صوتاً أحمق فاجر) ولو كان مباحاً لما كان فاجراً فروى البخاري في صحيحه من حديث عبدالرحمن بن عوف قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وفي حِجره إبراهيم، يعني: ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يجود بنفسه، وعيناه تذرفان، فقلت: يا رسول الله! أو تبكي؟ أو لم تنه عن البكاء ؟ فقال: (إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين رنة عند مصيبة، وشق جيب، وخمش وجوه، ورنة شيطان عند نعمة ولهو ولعب)

(٤)-

تحذير سائر طوائف أهل العلم من الغناء والسماع:

يتبن لمن له قلب حي وبصيرة منور بنور الإيمان، أن الغناء والسماع الشيطاني وآلات اللهو إنما نصبها الشيطان مضادةً لأمر الله ومعارضةً لما شرعه لعباده، وجعله سببَ صلاح قلوبهم وأديناهم، واستخف الشيطان وحزبه وحسن لهم ذلك، فأطاعوه، وزينه لهم فاتبعوه، ولما فعلوا ذلك واستجاب لهم من قّل نصيبه من العلم والإيمان، صاح بهم جند الله وحزبه من كل قطر وناحية، وحذَّروا منهم، ونهوا عن مشابهتهم والاقتداء بهم من سائر طوائف أهل العلم، فصاح بهم أئمة الحديث، وأئمة الفقه، وأئمة التفسير، وأئمة الزهد والسلوك إلى الله، وحذروا منهم كل الحذر.

وأما أبو حنيفة وأصحابه فمن أشدِّ الناس فيه، وأسهلُ ما عندهم فيه أنه من الذنوب والمعاصي.

وقال الشافعي:..إن الغناء لهو مكروه يُشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه تُردُّ شهادته.

وقال أبو الحسن بن القصار إمام المالكية: سئل مالك عن السماع، فقال: لا يجوز، قيل: فإن في المدينة قوماً يسمعون ذلك. قال: إنما يسمع ذلك عندنا الفسَّاق. قال الله تعالى: ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ [يونس:٣٢] أهو حق؟ فقال السائل:لا

وفي مسائل عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي عن الغناء، فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يُعجبني.

وعن الشعبي أنه دُعي إلى وليمة، فسمع صوت لهو، فقال: إما أن نخرجهم وإما أن نخرج.

-(٥)

مفاسد السماع:

هذا السماع..كم حصل به من مفسدةٍ..فكم أفسدَ من دين، وأمات من سنة، وأحيا من فجور وبدعة، وكم هُدِمَ به من مرضاة الله ورسوله، وبُني به من مساخطه ومساخط رسوله، ولا إله إلا الله كم جلب من شرك، وأخفى من توحيد، وكم فيه من فتحٍ لطرق الشيطان، وصدٍّ عن سبيل الله وعن الإيمان، وكم أنبت في القلب من نفاقٍ، وغرَسَ فيه من عداوة لدين الله وشقاق، وكم وقع فيه من رقية للزنا والحرام، وتسهل به من طريق إلى ما كرهه الله من المعاصي والآثام، وكم قرت به للشيطان وحزبه من عيون، وتقرحت به لأولياء الله وحزبه من جفون، وكم مالت به الطباعُ إلى ما حرمه الله ورسوله عليها، وكم سكرت به النفوس فعربدت بالمحارم، وانقادت قسراً إليها.

هذا ولو لم يكن فيه من المفاسد إلا ثِقلُ استماع القرآن على قلوب أهله، واستطالته إذا قُرئ بين يدي سماعهم، ومرورهم على آياته صُماً وعمياناً، لم يحصل لهم منه ذوق ولا وجد ولا حلاوة، بل ولا يصغى أكثر الحاضرين أو كثير منهم إليه، ولا يُقومون معانيه، ولا يغضون أصواتهم عند تلاوته. فإذا جاء السماع الشيطاني خشعت منهم الأصوات، وهدأت الحركات، ودارت عليهم كؤوس الطرب والوجد، وحدا حينئذٍ حادي الأرواح إلى محل السرور والأفراح.

ومن مفاسده: أنه يُثقل على القلوب الفكر في معاني القرآن وحقائق الإيمان، فبحسب انصرافه إلى السماع يكون انصرافه عن ذلك، فمستقل ومستكثر.

وكذلك يُثقل على اللسان ذكر الله، وإن خف الذكر على لسانه كان ذكراً مجرداً عن مواطأة القلب للسان، وهذا أمر يعلمه السماعي الصادق من نفسه، ولا يمكنه جحده بقلبه فما اجتمع السماع والذكر والقرآن في موطن إلا وطرد أحدهما الآخر، فلا يجتمعان إلا حرباً، لا يجتمعان سلماً قط.

كم أُفسِد بالسماع من قلب، وكم سُلِب من نعمة، وكم جُلِب من نقمة، وكم رُكِب به من فرج حرام، وكم استُحلَّ به من المحارم والآثام، وكم صَدَّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وكم قطع على السالكين سبيل النجاة، وكم تهافت به فراشُ العقول والأحلام في الجحيم، وكم فاتها به من الله وجنات النعيم ؟

ومن مفاسده: أنه يميل بسامعه إلى اللذات العاجلة، ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات بحسب الإمكان...وبين الغناء وشهوة الجماع ولذته أقرب نسبٍ من جهة أن الغناء لذة الروح، والجماع أكبر لذات النفس، فيجتمع داعي اللذتين على طبع مستعد ونفس فارغة، فيجد الداعي محلاً فارغاً لا مدافع له، فيتمكن منه،كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرِف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

وبالجملة فمفاسد هذا السماع في القلوب والنفوس والأديان أكثر من أن يحيط بها العدُّ، ومن عرف مقاصد الشرع في سدِّ الذرائع المفضية إلى الحرام قطع بتحريم هذا السماع، فإن النظر إلى الأجنبية واستماع صوتها لغير حاجة حرام سدًّ للذريعة.

فتحريم...الآلات المطربة من تمام حكمة الشارع، وكمال شريعته، ونصيحته للأمة، فإنه لو حرّم ما اشتمل على المفاسد، وما هو وسيلة وذريعة إليه، ولو أباح وسائل المفاسد مع تحريمها لكان تناقضاً يُنزه عنه، ولو أن عاقلاً من العقلاء حرَّم مفسدة وأباح الوسيلة المفضية إليها، لعدَّه الناس سفيهاً متلاعباً.

(٧)-

المصيبة العظمة والداهية الكبرى نسبة جواز هذا السماع لدين الله وأنه قربة له:

قال غير واحد من السلف: ادعى قوم محبة الله تعالى، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تُحبون فاتبعوني يُحببكم الله ﴾ [آل عمران: ٣١] فلم يقل: فارقصوا واطربوا على صوت المزامير والشبابات، والألحان المطربات، بالتوقيعات والنغمات، فمن أضلُّ سبيلاً ممن يدعي محبة الله ويزعم أنه يتقرب إليه بهذا السماع الشيطاني.

فالمصيبة العظمة والداهية الكبرى: نسبة ذلك إلى دين الرسول صلى الله عليه وسلم وشرعه، وأنه أذن في ذلك لأمته، وأباحه لهم وأطلقه، ورفع الحرج عن فاعله، مع اشتماله على هذه المفاسد المضادة لشرعه ودينه وأظلم من هذه البلية وأشدُّ: اعتقاد أنه قُربة حتى يُتقرب به إلى الله، ودين يُدان الله به، وأن فيه من صلاح القلوب وعمارتها بالأحوال العلية والصفات الزكية ما يجعله أفضل من كثير من النوافل، كقيام الليل وقراءة القرآن،و طلب ما يُقرب إلى الله من العلم النافع والعمل الصالح

وأعظم من هذا كلِّه بليةً ومصيبةً اعتقاد أن تأثُّر القلوب به أسرع وأقوى من تأثرها بالقرآن، وأنه قد يكون أنفع للعبد من سماع القرآن، وأن فتحه أعجل وأقوى من فتح القرآن من وجوه متعددة.

ولا ريب أن هذا من النفاق الذي أنبته الغناء في القلب، فإنه كما قال ابن مسعود: " الغناء يُنبتُ النفاقَ في القلب كما يُنبت الماءُ البقلَ "وأي نفاق فوق هذا النفاق؟ ولا ريب أن ارتكاب المحرمات مع العلم بتحريمها أسهلُ وأسلمُ عاقبةً من ارتكابها على هذا الوجه، فإن هذا قلب للدين، ومشاققة لرسول رب العالمين، واتباع لغير سبيل المؤمنين، وقد قال تعالى: ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوله ما تولى ونُصله جهنم وساءت مصيراً﴾[النساء: ١١٥]

(٨)-

فصل: الصلاة قرة عين المحبين ولذة أرواح الموحدين

لا ريب أن الصلاة قرة عين المحبين ولذة أرواح الموحدين ومحكُّ أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمته المهداة إلى عبيده، هداهم إليها وعرفهم بها رحمة بهم وإكراماً لهم، لينالوا بها شرف كرامته والفوز بقربه، لا حاجة منه إليهم، بل منَّة منه وفضلاً منه عليهم، وتعبد بها القلب والجوارح جميعاً، وجعل حظ القلب منها أكمل الحظين وأعظمهما، وهو إقباله على ربه سبحانه وفرحه وتلذذه بقربه وتنعمه بحبه وابتهاجه بالقيام بين يديه، وانصرافه حال القيام بالعبودية عن الالتفات إلى غير معبوده وتكميل حقوق عبوديته حتى تقع على الوجه الذي يرضاه.

الوضوء ظاهره طهارة البدن، وباطنه طهارة القلب من أوساخه وأدرانه بالتوبة:

فبالوضوء يتطهر من الأوساخ ويقدُم على ربه متطهراً، والوضوء له ظاهر وباطن، وظاهره طهارة البدن وأعضاء العبادة، وباطنه وسره طهارة القلب من أوساخه وأدرانه بالتوبة. ولهذا يقرن سبحانه بين التوبة والطهارة في قوله: ﴿ إن الله يحبُّ التوابين ويُحبُّ المتطهرين ﴾ [البقرة:٢٢٢] وشرع النبي صلى الله عليه وسلم للمتطهر بعد فراغه من الوضوء أن يتشهد، ثم يقول: (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) فكمل له مراتب الطهارة باطناً وظاهراً.

فإنه بالشهادة يتطهر من الشرك، وبالتوبة يتطهر من الذنوب، وبالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة، فشرع أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله والوقوف بين يديه، فلما طهر ظاهراً وباطناً أذن له بالدخول عليه بالقيام بين يديه.

استقبال المصلي القبلة بالوجه واستقبال الله عز وجل بالقلب:

وأمره بأن يستقبل القبلة بيته الحرام بوجهه، ويستقبل الله عز وجل بقلبه...ثم قام بين يديه مقام الذليل الخاضع المسكين المستعطف لسيده، وألقى بيديه مسلماً مستسلماً ناكس الرأس خاشع القلب مُطرق الطرف، لا يلتفت قلبه عنه ولا طُرفة يمنةً ولا يسرةً، بل قد توجه بقلبه كله إليه، وأقبل بكليته عليه.

التكبير أن يكون الله جل جلاله أكبر في قلب المصلي من كل شيء:

ثم كبره بالتعظيم والإجلال، وواطأ قلبه في التكبير لسانه، فكان الله أكبر في قلبه من كل شيء، وصدَّقَ هذا التكبير بأنه لم يكن في قلبه شيء أكبر من الله يشغله عنه، فإذا اشتغل عن الله بغيره وكان ما اشتغل به أهمَّ عنده من الله كان تكبيره بلسانه دون قلبه.

الثناء على الله عز وجل بما هو أهله في دعاء الاستفتاح:

فإذا قال: (سبحانك اللهم وبحمدك)، وأثنى على الله بما هو أهله، فقد خرج عن الغفلة التي هي حجاب أيضاً بينه وبين الله، وأتى بالتحية والثناء الذي يخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيماً له وتمجيداً ومقدمة بين يدي حاجته، فكان في هذا الثناء من أدب العبودية ما يستجلب به إقباله عليه ورضاه عنه وإسعافه بحوائجه.

الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن ليبعد عن الشيطان:

فإذا شرع في القراءة قدَّم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان...فإذا استعاذ بالله من الشيطان بعُد منه، فأفضى القلب إلى معاني القرآن، ووقع في رياضة المؤنقة، وشاهد عجائبه التي تبهر العقول، واستخرج من كنوزه...ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

الحذر من الإعراض عن الله عند مناجاته وقراءة القرآن:

فإذا أخذ في قراءة القرآن فقد قام في مقام ومخاطبة ربه ومناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرض لمقته وسخطه أن يناجيه ويخاطبه وهو مُعرض عنه، ملتفت إلى غيره، فإنه يستدعي بذلك مقته.

التمهل عند قراءة آيات الفاتحة:

وليقف عند كل آية من الفاتحة ينتظر جواب ربه له، وكأنه سمعه يقول: حمدني عبدي حين يقول: ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ فإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم ﴾ وقف لحظةً ينتظر قوله: أثنى على عبدي، فإذا قال: ﴿ مالكِ يوم الدين ﴾ انتظر قوله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿ إياك نعبُدُ وإياك نستعينُ ﴾ انتظر قوله: هذا بيني وبين عبدي، فإذا قال: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ إلى آخرها، انتظر قوله: هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل.

عبودية قوله تعالى: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

ثم لكل آية من الفاتحة عبودية وذوق ووجد يخصها.

فعند قوله: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ تجد تحت هذه الكلمة إثبات كل كمال للرب تعالى فعلاً ووصفاً واسماً، وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلاً ووصفاً واسماً، فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، منزه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه.

وهو المحمود لذاته، وإن لم يحمده العباد، كما أنه هو الواحد الأحد ولو لم يُوحده العباد، والإله الحق وإن لم يُؤلهوه.

ومن عبوديته أيضاً أن يعلم أن حمده لربه سبحانه نعمة منه عليه، يستحق عليها الحمد، فإذا حمده على هذه النعمة استوجب عليه حمداً آخر على نعمة حمده، وهلمَّ جرّاً، فالعبد ولو استنفذ أنفاسه كلها في حمده على نعمة من نعمه، كان ما يجب له من الحمد ويستحقه فوق ذلك وأضعافه، ولا يُحصي أحد البتة ثناءً عليه بمحامده.

ومن عبودية العبد شهودُ العبد لعجزه عن الحمد، وأن ما قام به منه فالرب سبحانه هو المحمود عليه، إذ هو مجريه على لسانه وقلبه.

ثم لقوله: ﴿ ربِ العالمين ﴾ من العبودية شهود تفرده سبحانه بالربوبية، وأنه كما أنه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومُدبِّر أمورهم ومُوجِدهم ومُفنيهم، فهو وحده إلههم ومعبودهم وملجأهم ومفزعهم عند النوائب، فهو رب غيره، ولا إله سواه.

عبودية قوله تعالى: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾

ولقوله: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ عبودية تخصها، وهي شهود عموم رحمته، وسعتها لكل شيء، وأخذ كل موجود بنصيبه منها، ولا سيما الرحمة الخاصة به التي أقامت عبده بين يديه في خدمته، يناجيه بكلامه ويتملقه ويسترحمه ويسأله هدايته ورحمته..فهذا من رحمته بعبده، فرحمتُه وسعت كلَّ شيء، كما أن حمده وسع كل شيء.

عبودية قوله تعالى: ﴿ مالك يوم الدين ﴾

ثم يعطى قوله: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ عبوديتها، ويتأمل تضمنها لإثبات المعاد، وتفرد الرب فيه بالحكم بين خلقه، وأنه يوم يدين فيه العباد بأعمالهم في الخير والشر، وذلك من تفاصيل حمده وموجبه.

عبودية قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

فإذا قال: ﴿ إياك نعبُدُ وإياك نستعينُ ﴾ انتظر جواب ربه له: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وتأمل عبودية هاتين الكلمتين وحقوقهما، وميَّز الكلمة التي لله والكلمة التي للعبد، وفقه سر كون إحداهما لله والأخرى للعبد، وميز بين التوحيد الذي يقتضيه كلمة (إياك نعبد) والتوحيد الذي تقتضيه كلمة (إياك نستعين) وفَقِهَ سر كون هاتين الكلمتين في وسط السورة بين نوعي الثناء قبلهما والدعاء بعدهما

عبودية قوله تعالى: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

ثم تأمل ضرورته وفاقته إلى قوله: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ الذي مضمونه معرفة الحق، وقصده وإرادته والعمل به والثبات عليه، والدعوة إليه، والصبر على أذى المدعو، فباستكمال هذه المراتب الخمس تستكمل الهداية، وما نقص منها نقص من هدايته.

التأمين بعد قراءة الفاتحة تفاؤلاً بالإجابة:

وشرع له التأمين عند هذا الدعاء تفاؤلاً بإجابته وحصوله، وطابعاً عليه وتحقيقاً له، ولهذا اشتد حسد اليهود للمسلمين عليه حين سمعوهم يجهرون به في صلاتهم.

عبودية رفع اليدين عند الركوع:

ثم شرع لهم رفع اليدين عند الركوع تعظيماً لأمر الله، وزينةً للصلاة، وعبودية خاصة لليدين كعبودية باقي الجوارح، واتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حلية الصلاة، وزينتها، وتعظيم لشعائرها.

ثم شرع له التكبير الذي هو في انتقالات الصلاة من ركن إلى ركن،....ليعلم العبد أن سرّ الصلاة هو تعظيم الرب تعالى وتكبيره بعبادته وحده.

عبودية الركوع:

ثم شرع له بأن يخضع للمعبود سبحانه بالركوع خضوعاً لعظمته واستكانةً لهيبته وتذللاً لعزته، فثنى العبد له صلبه، ووضع له قامته، ونكس له رأسه، وحنى له ظهره، معظماً له ناطقاً بتسبيحه المقترن بتعظيمه، فاجتمع له خضوع القلب وخضوع الجوارح وخضوع القول. على أتم الأحوال، وتمام عبودية الركوع أن يتصاغر العبد ويتضاءل بحيث يمحو تصاغره كل تعظيم منه لنفسه ويُثبت مكانه تعظيمه لربه وكلما استولى على قلبه تعظيمُ الرب ازداد تصاغره هو عند نفسه.

عبودية الاعتدال من الركوع:

ثم شرع له أن يحمد ربه ويثني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن هيأته منتصب القامة، فيحمد ربه ويثني عليه بأن وفقه لذلك الخضوع، ثم نقله إلى مقام الاعتدال والاستواء بين يديه، واقفاً في خدمته، كما كان في حال القراءة ولذلك الاعتدال ذوق خاص وحال يحصل للقلب سوى ذوق الركوع وحاله، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطيله كما يطيل الركوع والسجود.

عبودية السجود:

ثم شرع له أن يكبر ويخرَّ ساجداً ويُعطي في سجوده كل عضو من أعضائه حظه من العبودية فيضع ناصيته بالأرض بين يدي ربه مسندةً راغماً له أنفه خاضعاً له قلبه..

وجوارحه متذللاً لعظمته خاضعاً لعزته، مستكيناً بين يديه أذلَّ شيء وأكسره لربه تعالى مسبحاً له بعلوه...وقد طابق قلبه حال جسمه فسجد القلب كما سجد الوجه،..فأحر به في هذه الحال أن يكون أقرب إلى ربه منه في غيرها من الأحوال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)

عبودية الجلسة بين السجدتين:

ثم شرع له أن يرفع رأسه ويعتدل جالساً، ولما كان هذا الاعتدال محفوظاً بسجودين، سجود قبله وسجود بعده،..كان له شأن. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطيله بقدر السجود ويتضرع فيه إلى ربه ويستغفره، ويسأله رحمته وهدايته ورزقه وعافيته، وله ذوق خاص وحال للقلب غير ذوق السجود، فالعبد في هذا القعود قد تمثل جاثياً بين يدي ربه، مُلقياً نفسه بين يديه، معتذراً إليه مما جناه راغباً إليه أن يغفر له ويرحمه...وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر الاستغفار في هذه القعدة، ويكثر رغبته إلى الله فيها.

السجود مرة أخرى لفضل السجود وشرفه:

وشرع له أن يعود ساجداً كما كان، ولا يكتفي منه بسجدة واحدة في الركعة كما اكتفى منه بالركوع لفضل السجود وشرفه وموقعه من الله.

تكرير الأفعال والأقوال في ركعات الصلاة غذاءً للقلب والروح:

وشرع له تكرير هذه الأفعال والأقوال، إذ هي غذاء القلب والروح التي لا قوام لهما إلا بها، فكان تكريرها بمنزلة تكرير الأكل حتى يشبع، والشرب حتى يروى..ولهذا قال بعض السلف: مثل الذي يصلي ولا يطمئن في صلاته كمثل الجائع، إذا قُدِّم إليه طعام فتناول منه لقمة أو لقمتين، ماذا تغني عنه؟

هذا، وفي إعادة كل قول أو فعل من العبودية والقرب، وتنزيل الثانية منزلة الشكر على الأولى، وحصول مزيد منها ومعرفةٍ وإقبالٍ وقوة قلب وانشراح صدر وزوال درنٍ ووسخ عن القلب، بمنزلة غسل الثوب مرة بعد مرة، فهذه حكمة الله التي بهرت العقول في خلقه وأمره، ودلَّت على كمال رحمته ولطفه.

ـ(١٥)

الجلوس قبل انقضاء الصلاة للثناء على الله عز وجل والدعاء:

فلما قضى صلاته وأكملها ولم يبق إلا الانصراف منها، شرع له الجلوس بين يدي ربه، مُثنياً عليه بأفضل التحيات التي لا تصلح إلا له، ولا تليق بغيره.

ولما كان عادة الملوك أن يُحيوا بأنواع التحيات من الأفعال والأقوال المتضمنة للخضوع والثناء وطلب البقاء ودوام الملك،...فكان الملك الحق سبحانه أولى بالتحيات كلها من جميع خلقه، وهي له بالحقيقة، ولهذا فُسّرت التحيات بالملك، وفسرت بالدوام والبقاء.

ثم عطف عليها " الصلوات " بلفظ الجمع والتعريف، ليشمل كل ما أطلق عليه لفظ الصلاة خصوصاً وعموماً، فكلها لله، لا تنبغي إلا له، فالتحيات له ملكاً، والصلوات له عبودية واستحقاقاً.

ثم عطف عليها الطيبات كذلك، وهذا يتناول أمرين: الوصف، والملك.

فأما الوصف فإنه سبحانه طيب، وكلامه طيب، وفعله كله طيب، ولا يصدر منه إلا الطيب، ولا يضاف إليه إلا الطيب، فكل طيب فله وعنده ومنه وإليه، وهو طيب لا يقبل إلا طيباً، وهو إله الطيبين، وجيرانه في دار كرامته هم الطيبون.

ثم شرع له أن يسلم على عباد الله الذين اصطفى بعد تقدم الحمد والثناء عليه بما هو أهله،...وقدّم في هذه التحية أولى الخلق بها، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، الذي نالت أمته على يده كلَّ خير وعلى نفسه بعده، وعلى سائر عباد الله الصالحين

ثم شرع له بعد ذكر هذه التحية والتسليم...أن يشهد شهادة الحق التي بنيت عليها الصلاة، وهي حق من حقوقها، ولا تنفعه إلا بقرينتها وهي شهادة لرسول الله بالرسالة، وختمت بها الصلاة.

سر الصلاة ولبها إقبال العبد على الله بكليته:

وسر الصلاة..ولبُّها هو إقبالُ العبد على الله بكليته فكما أنه لا ينبغي له أن يصرف وجهه عن قبلة يميناً وشمالاً، فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربه إلى غيره وللإقبال في الصلاة ثلاث منازل: إقبال على قلبه، فيحفظه من الوساوس والخطرات المبطلة لثواب صلاته أو المُنقِصة له، وإقبال على الله بمراقبته حتى كأنه يراه، وإقبال على معاني كلامه وتفاصيل عبودية الصلاة ليعطيها حقها، فباستكمال هذه المراتب الثلاث تكون إقامة الصلاة حقاً.

وكما أن الصوم ثمرته تطهير النفس، وثمرة الزكاة تطهير المال، وثمرة الحج وجوب المغفرة وثمرة الجهاد تسليم النفس التي اشتراها سبحانه من العباد وجعل الجنة ثمنها، فالصلاة ثمرتها الإقبال على الله وإقبال الله سبحانه على العبد وفي الإقبال جميع ما ذُكِرَ من ثمرات الأعمال ولذلك لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: جُعِلت قرة عيني في الصوم ولا في الحج والعمرة، وإنما قال:(جعلت قرةُ عيني في الصلاة) وتأمل قوله:(جُعلت قرةُ عيني في الصلاة)ولم يقل بالصلاة، إعلاماً بأن عينه إنما تقرُّ بدخوله فيها، كما تقرُّعين المُحب بملابسته محبوبه، وتقرُّ عين الخائف بدخوله في محل أمنِه فقرة العين بالدخول في الشيء أكملُ وأتمُّ من قرة العين به قبل الدخول. ولما جاء إلى راحة القلب من تعبه.قال: (يا بلالُ أرحنا بالصلاة) أي أقمها لنستريح بها من مقاساة الشواغل، كما يستريح التعبان إذا وصل إلى نُزله وقرّ فيه..وتأمل كيف قال: أرحنا بها، ولم يقل: أرحنا منها، كما يقوله المتكلف بها الذي يفعلها تكلفاً وغُرماً.فالفرق بين من كانت الصلاة لحوائجه قيداً ولقلبه سجناً ولنفسه عائقاً، وبين من كانت الصلاة لقلبه نعيماً، ولعينه قرة، ولحوائجه راحة، ولنفسه بستاناً ولذة.

(١٧)-

فصل: دلالة الإشارة

دلالات الألفاظ والإشارات...تصح بثلاثة شروط:

أحدها: أن يكون المعنى صحيحاً في نفسه.

الثاني: أن لا يكون في اللفظ ما يُضادُّه.

الثالث: أن يكون بينه وبين معنى اللفظ الذي وضع له قدر مشترك يفهم بواسطته.

فإذا كانت دلالة الإشارة مؤيدة بهذه الأصول الثلاثة فهي إشارة صحيحة، ولنذكر لذلك أمثلة:

القرآن لا يجد حلاوته ولا يذوق طعمه إلا القلب المطهر من الأنجاس والأدناس:

قوله تعالى: ﴿ إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسُّهُ إلا المُطهرُون ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩] فحقيقة هذا أنه لا يمسُّ محله إلا المطهر، وإشارته أنه لا يجد حلاوته ويذوق طعمه ويباشر حقائقه إلا القلب المطهر من الأنجاس والأدناس، وإلى هذا أشار البخاري في صحيحه، فهذه من أصح الإشارات.

برّ القلب يوجب نعيم الدنيا، وفجوره يوجب جحيمها:

قوله تعالى: ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ [الانفطار:١٣] إشارة هذه الآية أن برَّ القلب يُوجب نعيم الدنيا، ﴿ وإن الفجار لفي جحيمٍ ﴾ إشارة هذه الآية أن فجوره يوجب جحيمها.

من اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام بقلبه وعمله فإن الله عز وجل معه:

قوله تعالى: ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة:٤٠] فمن أصح الإشارات إشارة هذه الآية، وهي أن من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به بقلبه وعمله وإن لم يصحبه ببدنه فإن الله معه.

محبة الله جل جلاله ورسوله مانعة من عذاب الدنيا والآخرة:

قوله تعالى: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال:٣٣] فإشارة هذه الآية أن محبة الرسول وحقيقة ما جاء به إذا كان في القلب فإن الله لا يعذبه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإذا كان وجود الرسول في القلب مانعاً من تعذيبه، فكيف بوجود الرب تعالى في القلب ؟ فهاتان إشارتان.

إذا عاقب الله قوماً على معاصيهم فإنه لا يغير ما بهم من العقوبة حتى يعودوا إلى طاعته:

قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد:١١] فدلالة لفظها أنه لا يغير نعمه التي أنعم بها على عباده حتى يُغيروا طاعته بمعصيته، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ ذلك بأن ربك لم يكُ مُغيراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الأنفال:٥٣] وإشارتها أنه إذا عاقب قوماً وابتلاهم، لم يغير ما بهم من العقوبة والبلاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من المعصية إلى الطاعة، كما قال العباس عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة)

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) فإذا منع الكلب والصورة دخول الملك البيت، فكيف تدخل معرفة الرب ومحبته في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها.

فهذه إشارات صحيحة، وهي من جنس مقاييس الفقهاء، بل أصح من كثير منها.

-(١٩)

فصل: فوائد متفرقة

ما يدعو إليه الرسول هو حياة القلوب، وما يدعو إليه مخالفوه هو موت القلوب:

ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم هو حياة القلوب، ونجاة النفوس، ونور البصائر، وما يدعو إليه مخالفوه فهو موت القلوب، وهلاك النفوس، وعمى البصائر، قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾ [الأنفال:٢٤]

وتأمل كيف أخبر عن حيلولته بين المرء وقلبه بعد أمره بالاستجابة له ولرسوله، كيف تجد في ضمن هذا الأمر والخبر أن من ترك الاستجابة له ولرسوله حال بينه وبين قلبه، عقوبةً له على ترك الاستجابة، فإنه سبحانه يُعاقب القلوب بإزاغتها عن هداها ثانياً، كما زاغت هي عنه أولاً، قال تعالى: ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف:٥]

وقال: ﴿ ونُقلبُ أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرةٍ ﴾ [الأنعام:١١٠]

وقال: ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ [التوبة:١٢٧] فصرف قلوبهم عن الهدى ثانياً، لما انصرفوا عنه بعد إذ جاءهم أولاً.

وقد حذر سبحانه من خالف أمر رسوله بإصابة الفتنة في قلبه وعقله ودينه، وإصابة العذاب الأليم له، إما في الآخرة أو في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور:٦٣] قال سفيان وغيره من السلف: وأي فتنة ؟ إنما هي الكفر.

وأخبر سبحانه وتعالى أن من تولى عن طاعة رسوله، فإنه لا بدّ أن يُصيبه بمصيبةٍ وقارعةٍ بقدر توليه عن طاعته، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ فإن تولوا فاعلم أنما يُريدُ الله أن يُصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ﴾ [المائدة:٤٩]

-(٢٠)

وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله عند التنازع

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فرُدوهُ إلى الله والرسول إن كنتم تُؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خير وأحسنُ تأويلاً ﴾ [النساء:٥٩] وقد أجمع الناس على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد مماته.فأمر سبحانه عباده المؤمنين أن يردوا ما تنازعوا فيه إليه وإلى رسوله وخاطبهم أولاً بلفظ الإيمان، ثم جعل آخراً الإيمان شرطاً في هذا الرد، فالإيمان يوجب عليهم هذا الرد وينتفي عند انتفائه فمن لم يردَّ ما تنازع فيه هو وغيره إلى الله ورسوله لم يكن مؤمناً

وتأمل قوله ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ كيف أعاد الفعل وهو طاعة الرسول، ليدل أنه يُطاع استقلالاً، وإن أمر بما ليس في القرآن الأمرُ به، ونهى عما ليس في القرآن النهي عنه فإنه أوتى الكتاب ومثله معه، ولم يُعد الفعل في طاعة أولي الأمر، بل جعلها ضمناً وتبعاً لطاعة الرسول، فإنهم إنما يُطاعون تبعاً لطاعة الرسول إذا أمروا بما أمر به ونهوا عما نهى عنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به وينهون عنه

ثم قال: ﴿ فإن تنازعتم في شيءٍ فرُدوهُ إلى الله والرسول ﴾ ولم يقل: (وإلى الرسول) إعلاماً بأن ما رُدّ إلى الله فقد رُدّ إلى رسوله، وما رُدّ إلى رسوله فقد رُدّ إليه سبحانه، وإن ما حكم به فقد حكم به رسوله، وما حكم به رسوله فهو حكمه سبحانه.

وقال: ﴿ فإن تنازعتم في شيءٍ ﴾ وهذا يعمُّ دقيق ما تنازع فيه المسلمون وجليله، فمن ظن أن هذا في شرائع الإسلام دون حقائق الإيمان، وفي أعمال الجوارح دون أعمال القلوب..أو في فروع الدين دون أصوله وباب الأسماء والصفات والتوحيد فقد خرج عن موجب الآية علماً وعملاً وإيماناً.

-(٢١)

الوجوه أربعة:

وجه جُمِع له بين اللباسين لباس الجمال ولباس التقوى، فذلك أجمل الوجوه.

ووجه جُمِع له بين لباس القبح ولباس المعصية فهو أقبح الوجوه.

ووجه أُلبِس لباس الجمال الظاهر ولم يُكس لباس التقوى.

ووجه ألبِسَ لباس التقوى وإن لم يُلبس لباس الجمال.

وجه المطيع يكسى جمالاً وحسناً وملاحةً

تجد وجه المطيع لله قد كُسي من الجمال والحسن والملاحة ما لم يُكسه وجهُ العاصي، فإن كان جميل الوجه ازداد جمالاً إلى جماله الخلقي، وأُلقيت عليه من المحبة والجلالة والحلاوة ما لم يُلق على غيره، وإن حُرِمَ جمال الوجه وحُسنه أُلبس من جمال الطاعة وبهجتها ونورها وحلاوتها أحسن مما فاته من الجمال الظاهر، وكلما كبر وطعن في السن ازداد حسناً وحلاوة وملاحة.

جميل الوجه إذا لم يصن جماله بطاعة الله فإنه كلما كبر ازداد وحشة وظلماً وقبحاً

وأما جميل الوجه إذا لم يصن جماله وحسنه، وبذله وتبذل به، فإنه كلما كبر وطعن في السن ازداد وحشةً وظلمة وقبحاً، وكلما ازداد من الفواحش والمعاصي ازداد حتى تكسف ظلمة المعصية شمس حسنه، وتخسف قمرها، ويعلو قبحها وسوادها الجمال الصوري، فتراه في السن لا يزاد إلا قبحاً ووحشةً ونفرةً عنده.

الرقص سببه ركوب الشيطان على كتفي الراقص ودقّه برجليه على صدره

حركة الرقص...سببها استخفاف الشيطان لأحدهم، وركوبه على كتفيه، ودقُّه برجليه على صدره، وكلما دقّه برجليه ورقص على صدره رقص هو كرقص الشيطان عليه.

-(٢٢)

أظهر..السمات على الوجوه سمة الصدق والكذب:

أظهر..السمات على الوجوه سمة الصدق والكذب، فإن الكذاب يُكسى وجهه من السواد بحسب كذبه، والصادق يُكسى وجهه من البياض بحسب صدقه.

وهذا أمر محسوس لمن له قلب، فإن ما في القلب من النور والظلمة والخير والشر يسري كثيراً إلى الوجه والعين، وهما أعظم الأعضاء ارتباطاً بالقلب.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ ولتعرفنهم في لحنِ القول ﴾ فهذا قسم محقق لا شرط فيه، وذلك أن ظهور ما في قلب الإنسان على لسانه أعظمُ من ظهوره على وجهه، لكنه يبدو بُدواً خفياً يراه الله، ثم يقوى حتى تصير صفةً في الوجه يراها أصحاب الفراسة، ثم يقوى حتى يظهر لجمهور الناس.

صوت القرآن وصوت الغناء:

صوت القرآن يُسكِّن النفوس ويُطمئنها ويُوقرها، وصوت الغناء يستفزها ويُزعجها ويُهيجها،...فتبارك من جعل كلامه شفاء لصدور المؤمنين، وحياةً لقلوبهم، ونوراً لبصائرهم، وغذاءً لقلوبهم، ودواءً لأسقامهم، وقرةً لعيونهم، وفتح به منهم أعيناً عُمياً، وآذاناً صُماً وقلوباً غلفاً..فأشرقت به الوجوه، واستنارت به القلوب.

صوت الشيطان كل صوت في غير طاعة الله:

قال تعالى للشيطان: ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ [الإسراء:٦٤] فالصوت الشيطاني يستفز بني آدم، وصوت الشيطان كل صوت في غير طاعة الله، نُسِبَ إلى الشيطان لأمره به ورضاه به، وإلا فليس هو الصوت نفسه، فصوت الغناء وصوت النوح وصوت المعازف...كلها من أصوات الشيطان، التي يستفز بها بني آدم فيستخفهم ويُزعجهم، ولهذا قال السلف في هذه الآية: " إنه الغناء"

-(٢٣)

ميت الأحياء من لا يعرف من المعروف إلا ما وافق هواه:

ولما تقادم العهد، وطال الأمد، درست معالم الدين، وأخذ الناس بُنيات الطريق، وصار الناس إلا الأقل كما قال الله عز وجل: ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُراً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ [المؤمنون:٥٣] فاستند كل قوم غير حزب الله ورسوله إلى ظُلم آرائهم،...وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً،...فانحرفت لذلك الأعمال، وانقلبت الأذواق، وفسدت الأحوال، وصدئت القلوب، وكثير منها انتكس، فلا يعرف من المعروف إلا ما وافق هواه، وهذا هو ميت الأحياء.

أشرح الناس صدراً، وأرفعهم ذكراً أتبعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

أتبع الناس لرسوله صلى الله عليه وسلم أشرحُهم صدراً، وأوضعهم وزراً، وأرفعهم ذكراً، وكلما قويت متابعتُه علماً وعملاً وحالاً واجتهاداً، قويت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبُها أشرح الناس صدراً، وأرفعهم في العالمين ذكراً، وأما وضع وزره فكيف لا يوضع عنه وزره ومن في السماوات والأرض ودواب البر والبحر يستغفرون له ؟

وهذه الأمور الثلاثة متلازمة، كما أضدادها متلازمة، فالأوزار والخطايا تقبضُ الصدر وتُضيقه، وتُخمل الذكر وتضعُه، وكذلك ضيق الصدر يضع الذكر ويجلب الوزر، فما وقع أحد في الذنوب والأوزار إلا من ضيق صدره وعدم انشراحه، وكلما ازداد الصدر ضيقاً كان أدعى إلى الذنوب والأوزار، لأن مرتكبها إنما يقصد بها شرح صدره، ودفع ما هو فيه من الضيق والحرج، وإلا فلو اتسع بالتوحيد والإيمان ومحبة الله ومعرفته وانشرح بذلك لا ستغنى عن شرحه بالأوزار

(٢٤)-

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة استماع القرآن:

كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، إذا اجتمعوا واشتاقوا إلى حادٍ يحدُو بهم ليطيب لهم السيرُ، ومُحركٍ يحرك قلوبهم إلى محبوبهم، أمروا واحداً منهم يقرأ والباقون يستمعون، فتطمئن قلوبهم، وتفيض عيونهم، يجدون من حلاوة الإيمان أضعاف ما يجده السماعاتيه من حلاوة السماع، وكان عمر بن الخطاب إذا جلس عنده أبو موسى يقول: يا أبا موسى ذكِّرنا ربنا، فيأخذ أبو موسى في القراءة، وتعمل تلك الأقوال في قلوب القوم عملها، وكان عثمان بن عفان يقول: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله. و إي والله! كيف تشبع من كلام محبوبهم وفيه نهاية مطلوبهم ؟ وكيف تشبع من القرآن وإنما فتحت به لا بالغناء والألحان ؟

إذا مرضينا تداوينا بذكركم فإن تركناه زاد السُّقم والمرضُ

غذاء القلوب بسماع القرآن:

السماع الشرعي..أصلح الأغذية وأطيبها وأنفعها للعارفين، وهو غذاء قلوبهم الذي لا يشبع منه، كما قال إمام أهل هذا السماع عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله" وفي صفة القرآن: " لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء " فهو قوت القلب وغذاؤه، ودواؤه من أسقامه وشفاؤه، وأما السماع الشعري الشيطاني فهو سُحت، وقلب تغذي بالسُّحت بعيد من الله، غير الله أولى به.

(٢٥)ـ

ما من أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ومأخوذ من قوله ومتروك:

ما من أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ومأخوذ من قوله ومتروك، ولا يُقتدى بأحد في أقواله وأفعاله وأحواله كلها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن نزَّل غيره في هذه المنزلة فقد شرح بالضلالة والبدعة صدراً، ولا يُغنى عنه ذلك الغير من الله شيئاً، بل يتبرأ منه أحوج ما يكون إليه، قال تعالى: ﴿ إذ تبرأ الذين اتُبعُوا من الذين اتبعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعُوا لو أن لنا كرةً فنتبرأ منهم كما تبرءوا منّا كذلك يُريهم اللهُ أعمالهم حسراتٍ عليهم ﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧]

أقسام الناس في عبودية الجوارح:

في كل جارحة من جوارح العبد عبودية تخصُّه، وطاعة مطلوبة منها، خُلقت لأجلها وهُيئت لها. والناس بعد ذلك ثلاثة أقسام:

أحدها: من استعمل تلك الجوارح فيما خُلقت له وأُريد منها، فهذا هو الذي تأجر الله بأربح التجارة، وباع نفسه لله بأربح البيع.

الثاني: من استعملها في لم تُخلق له، ولم يُخلق لها، فهذا هو الذي خاب سعيه وخسرت تجارته، وفاته رضي ربه عنه وجزيلُ ثوابه، وحصل على سخطه وأليم عقابه.

الثالث: من عطل جوارحه وأماتها بالبطالة، فهذا أيضاً خاسر أعظم خسارة، فإن العبد خُلق للعبادة والطاعة لا للبطالة، وأبغض الخلق إلى الله البطال الذي لا في شغل الدنيا ولا في سعى الآخرة، فهذا كلّ على الدنيا والدين.

أقوى أسباب العشق والفجور:

أعظم محرمات الهوى ودواعيه ثلاثة أشياء تُسكر الروح: النظر، واستماع الغناء، وشرب الخمر، فهذه الثلاثة هي أقوى أسباب العشق والفجور، والنفس الأمارة محبة لها مؤثرة لها، فجاء الشيطان إلى النفوس ودعاها من هذه الأبواب الثلاثة.

غالب القول يكُبُّ قائله في النار على منخره:

قال سبحانه: ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ [الزمر:١٨] فمدحهم باستماع القول واتباع أحسنه، ومن المعلوم أن كثيراً من القول بل أكثره ليس فيه حسن فضلاً عن أن يكون أحسن، بل غالب القول يكُبُّ قائله في النار على منخره.

والأقوال التي ذمها الله في كتابه أكثر من أن تُعدَّ، كالكلام الخبيث، والقول الباطل، والقول عليه بما لا يعلم القائل، والكذب، والافتراء، والغيبة، والتنابز بالألقاب، والتناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وتبييت ما لا يرضى من القول، وقول العبد بلسانه ما ليس في قلبه، وقوله ما لا يفعله، وقول اللغو، وقول ما لم يُنزل به سلطاناً، والقول المتضمن للشفاعة السيئة، والقول المتضمن للمعاونة على الإثم والعدوان، وأمثال ذلك من الأقوال المسخوطة والمبغوضة للرب تعالى، التي كلها قبيحة لا حسن فيها ولا أحسن.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
فصل: الغناء والسماع	٤
أدلة تحريم الغناء	٤
تحذير أهل العلم من الغناء والسماع	٥
مفاسد السماع	٦
المصيبة العظمى والداهية الكبرى نسبة جواز هذا السماع لدين الله وأنه قربه له	٨
فصل: الصلاة قرة عيون المحبين ولذة أرواح الموحدين	٩
الوضوء ظاهرة طهارة البدن وباطنه طهارة القلب من أوساخه وأدرانه بالتوبة	٩
استقبال المصلى القبلة بالوجه واستقبال الله عز وجل بالقلب	١٠
التكبير أن يكون الله جل جلاله أكبر في قلب المصلي من كل شيء	١٠
الثناء على الله عز وجل بما هو أهله في دعاء الاستفتاح	١٠
الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن ليبعد عن الشيطان	١٠
الحذر من الإعراض عن الله عند مناجاته وقراءة القرآن	١١
التمهل عند قراءة آيات الفاتحة	١١
عبودية قوله تعالى: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾	١١

عبودية قوله تعالى: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾	١٢
عبودية قوله تعالى: ﴿ مالك يوم الدين ﴾	١٢
عبودية قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾	١٣
عبودية قوله تعالى: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾	١٣
التأمين بعد قراءة الفاتحة تفاؤلاً بالإجابة	١٣
عبودية رفع اليدين عند الركوع	١٣
عبودية الركوع	١٤
عبودية الاعتدال من الركوع	١٤
عبودية السجود	١٤
عبودية الجلسة بين السجدتين	١٥
السجود مرة أخرى لفضل السجود وشرفه	١٥
تكرير الأفعال والأقوال في ركعات الصلاة غذاءً للقلب والروح	١٥
الجلوس قبل انقضاء الصلاة للثناء على الله عز وجل والدعاء	١٦
سر الصلاة ولبها إقبال العبد على الله بكليته	١٧
فصل: دلالة الإشارة	١٨
القرآن لا يجد حلاوته ولا يذوق طعمه إلا القلب المطهر من الأنجاس والأدناس	١٨
برّ القلب يوجب نعيم الدنيا، وفجوره يوجب جحيمها	١٨
من اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام بقلبه وعمله فإن الله معه	١٨

محبة الله جل جلاله ورسوله مانعة من عذاب الدنيا والآخرة	١٩
إذا عاقب الله قوماً على معاصيهم فإنه لا يغير ما بهم من العقوبة حتى يعودوا إلى طاعته	١٩
فصل: فوائد متفرقة	٢٠
ما يدعو إليه الرسول هو حياة القلوب، وما يدعو إليه مخالفوه هو موت القلوب	٢٠
وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله عند التنازع	٢١
الوجوه أربعة	٢٢
وجه المطيع يكسى جمالاً وحسناً وملاحةً	٢٢
جميل الوجه إذا لم يصن جماله بطاعة الله فإنه كلما كبر ازداد وحشة وظلماً وقبحاً	٢٢
الرقص سببه ركوب الشيطان على كتفي الراقص ودقّه برجليه على صدره	٢٢
أظهر..السمات على الوجوه سمة الصدق والكذب	٢٣
صوت القرآن وصوت الغناء	٢٣
صوت الشيطان كل صوت في غير طاعة الله	٢٣
ميت الأحياء من لا يعرف من المعروف إلا ما وافق هواه	٢٤
أشرح الناس صدراً، وأرفعهم ذكراً أتبعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٤

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة استماع القرآن	٢٥
غذاء القلوب بسماع القرآن	٢٥
ما من أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ومأخوذ من قوله ومتروك	٢٦
أقسام الناس في عبودية الجوارح	٢٦
أقوى أسباب العشق والفجور	٢٧
التنبه للتحدث واستماع أحسن القول، فأكثره ليس فيه حُسن	٢٧
فهرس الموضوعات	٢٨